

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية

عن ابن عباس ، وأبي هريرة : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم في صحيحه (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَلُّوا مُبِينًا ﴾ ﴿ وَعَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، أى : من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] . ثم قال تعالى : ﴿ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ أى : هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه ، وهو المقدس ، أى : المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال ﴿ العزيز الحكيم ﴾ تقدم تفسيره غير مرة .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ الاميون هم : العرب كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَنْ تَمُنُّوا فَلَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَظِيمًا ﴾ [آل عمران : ٢٠] وتخصيص الاميين بالذكر لا ينفي من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكد ، كما فى قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به . وكذا قوله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الاعراف : ١٥٨] ، وقوله : ﴿ لَأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الانعام : ١٩] ، وقوله إخبارا عن القرآن : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود : ١٧] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته ﷺ إلى جميع الخلق ، أحمرهم وأسودهم ، وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الانعام ، بالآيات والاحاديث الصحيحة ، ولله الحمد والمنة .

وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم ، حين دعا لاهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة ، على حين فترة من الرسل ، وطُمُوس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، وقد مقت الله اهل الأرض عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من اهل الكتاب - أى : نذرا يسيرا - ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَلُّوا مُبِينًا ﴾ . وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم

(١) مسلم (٨٧٧ / ٦١) عن ابى هريرة (٨٧٩ / ٦٤) عن ابن عباس .

الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه ، وقلوبه وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركا ، وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم ياذن بها الله ، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ، ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله ، حاكم ، فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع . وجمع له تعالى ، وله الحمد والمنة ، جميع المحاسن ممن كان قبله ، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ، ولا يعطيه أحداً من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وقوله : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ روى البخارى عن أبى هريرة ، قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً ، وفيما سلمان الفارسى ، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لنالها رجال - أو : رجلٌ - من هؤلاء » . ورواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى وابن أبى حاتم ، وابن جرير (١) . ففى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية ، وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس ؛ لأنه فسر قوله : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ ﴾ بفارس ؛ ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، وإلى اتباع ما جاء به ؛ ولهذا قال مجاهد وغير واحد فى قوله : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ قال : هم الاعاجم ، وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب . وعن سهل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى أصلاب أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب » ، ثم قرأ : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ (٢) . يعنى : بقية من بقى من أمة محمد ﷺ . وقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أى : ذو العزة والحكمة فى شرعه وقدره . وقوله : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ يعنى : ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العظيمة ، وما خص به أمته من بعثته ﷺ .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ وَلَا يَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرَوْنَ مِنْهُ فَأَتَيْتُمْ بِهِ لَمَلَكًا مَلْفُوفًا سُمْرًا لَرُدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ، ثم لم يعملوا بها ، مثلهم فى ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، أى : كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها

(١) البخارى (٤٨٩٧) ومسلم (٢٥٤٦ / ٢٣٠) والترمذى (٣٣١٠) وابن جرير فى التفسير (٦٢ / ٢٨) .

(٢) الطبرانى فى المعجم الكبير (٢٠١ / ٦) وقال الهيمى فى الزوائد (٤٠٨ / ١٠) : «إسناده جيد» ، وقال الابانى : «إسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات » انظر : فلال الجنة فى تخريج أحاديث السنة (٣٠٩) .

حَمَلًا حَسِيًّا وَلَا يَدْرِي مَا عَلَيْهِ . وكذلك هولاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه ، حفظوه لفظًا ولم يفهموه ، ولا عملوا بمقتضاه ، بل أولوه وحرفوه وبدلوه ، فهم أسوأ حالا من الحمير ؛ لأن الحمير لا يفهم له ، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها ؛ ولهذا قال في الآية الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] . وقال هاهنا : ﴿ بَشَرٌ مِّثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب ، فهو كمثل الحمير يحمل أسفارا ، والذي يقول له : « أتصت » ليس له جمعة » (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَصَبْرًا فَعَسَا يُفْتَنُوا فَمَنْ صَادِقِينَ ﴾ . إن كنتم تزعمون أنكم على هدى ، وأن محمدا وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضلال من الفتنين ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما تزعمونه . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْتَمُونَ أَهْبَاءًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَبْدِيهِمْ ﴾ أى : بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ . وقد قدمنا في سورة « البقرة » الكلام على هذه المباهلة لليهود ، حيث قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَصَبْرًا فَعَسَا يُفْتَنُوا فَمَنْ صَادِقِينَ . وَلَنْ يَحْتَمُونَ أَهْبَاءًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَبْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . وَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أُشْرِكُوا بِوُدِّ أَحَدِهِمْ لَوْ بَعُرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٩٤ - ٩٦] . وقد أسلفنا الكلام هناك ، وبيننا أن المراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم ، كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران : ﴿ فَمَنْ حَاجَلَكُ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَلْيُنَادِلْهُ نِدَاؤَ آبَائِنَا وَأَبْنَاؤُنَا كُمْ وَبَنَاتِنَا أَوْ نِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبْهَلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١] ومباهلة المشركين في سورة مريم : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا ﴾ [مريم : ٧٥] . وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لعنه الله : إن رأيت محمدا عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على عتقه . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لو فعل لاخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقادهم من النار . ولو خرج الذين يبأهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » . رواه البخارى والترمذى والنسائى (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَائِكَةُكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْقَبْرِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِخُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ كقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ أَنْتُمْ تَكُونُوا بِدَرِكِكُمْ الْمَوْتِ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِلصَّلَاةِ مِنْ بُرُوجِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِذَا بُغِضَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا الْعَلَّامَ نَقْلِحُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

إنما سميت الجمعة جمعة ؛ لأنها مشتقة من الجمع ، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرةً بالمعابد الكبار وفيه كَمُلُ جميع الخلائق ، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض . وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة . وفيه مباحة

(١) المسند (٢٠٣٣) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده حسن » .

(٢) المسند (٢٢٢٥) والبخارى (٤٩٥٨) والترمذى (٣٣٤٨) والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٥) .

لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه كما ثبت بذلك الأحاديث الصحاح (١) .
وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة . وثبت أن الاسم قبلنا أمروا به فَصَلُوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخَلِيقَةَ ، كما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يومهم الذي قرّض الله عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالتاس لنا فيه تبع ، اليهود غداً ، والنصارى بعد غد » (٢) . لفظ البخارى . وفى لفظ لمسلم : « أصل الله عن الجمعة من كان قبلنا . فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد . فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، المقضى بينهم قبل الخلاق » (٣) .

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أى : اقصدا واعدلوا واهتموا فى مسيركم إليها ، وليس المراد بالسعي هاهنا المشى السريع ، وإنما هو الاهتمام بها ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [الإسراء : ١٩] . وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود يقرآنها : فامضوا إلى ذكر الله . فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه ، لما أخرجاه فى الصحيحين ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة ، وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فاتموا » . لفظ البخارى (٤) . وعن أبى قتادة قال : بينما نحن نصلّى مع النبى ﷺ إذ سمع جلبة رجال ، فلما صلى قال : « ما شأنكم ؟ » قالوا : استعجلنا إلى الصلاة . قال : « فلا تفعلوا ، إذا أتيت الصلاة فامشوا وعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا » . أخرجاه (٥) . قال الحسن : أما والله ما هو بالسعى على الأقدام ، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والحشوع . وقال قتادة فى قوله : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ يعنى : أن تسمى بقلبك وعملك ، وهو المشى إليها ، وكان يتأول قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى ﴾ [الصفات : ١٠٢] أى : المشى معه . روى عن محمد بن كعب ، وزيد بن اسلم ، وغيرهما نحو ذلك .

ويستحب لمن جاء الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها ، لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » (٦) . ولهما عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ « غُسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » (٧) . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « حق لله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » . رواه مسلم (٨) . وروى الإمام أحمد عن أوس بن أوس الثقفى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(١) انظر - على سبيل المثال ما رواه مسلم (١٣ / ٨٥٢) عن أوس بن أوس ، (١٧ / ٨٥٤) عن أبى هريرة .

(٢) البخارى (٨٧٦ ، ٨٩٦) ومسلم (١٩ / ٨٥٥) . (٣) مسلم (٢٢ / ٨٥٦) .

(٤) البخارى (٦٣٦) ومسلم (١٥١ / ٦٠٢) . (٥) البخارى (٦٣٥) ومسلم (١٥٥ / ٦٠٣) .

(٦) البخارى (٨٧٧) ومسلم (١ / ٨٤٤) . (٧) البخارى (٨٧٩) ومسلم (٧٠ / ٨٤٦) .

(٨) البخارى (٨٩٧) ومسلم (٩ / ٨٤٩) .

« من غَسَلَ واغْتَسَلَ يوم الجمعة ، وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يَلْغُ كان له بكل خطوة أجر سنة ، أجر صيامها وقيامها » . وهذا الحديث له طرق والفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحَسَنُهُ الترمذى^(١) . وعن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غَسَلَ الجنابة ، ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجاه^(٢) .

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ويتسوك ، ويتنظف ويتطهر . وفي حديث أبي سعيد المتقدم : « غَسَلَ يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، والسواك ، وأن يَمَسَّ من طيب أهله » . وروى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغتسل يوم الجمعة ومَسَّ من طيب أهله - إن كان عنده - ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركب - إن بدا له - ولم يؤذ أحداً ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى ، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى »^(٣) . وعن عائشة : أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة ، فرأى عليهم ثياب النمار ، فقال : « ما على أحدكم إن وجد سعةً أن يتخذ ثوبين لجمعه ، سوى ثوبى مهنته » . رواه ابن ماجه^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ ﴾ : المراد بهذا النداء هو النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدى رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر ، فإنه كان حيثئذ يؤذن بين يديه ، فهذا هو المراد ، فأما النداء الاول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فلما كان هذا لكثرة الناس ، كما رواه البخارى عن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، فلما كان عثمان بعد زمن ، وكثر الناس ، راد النداء الثانى على الزوراء^(٥) . يعنى : يؤذن به على الدار التى تسمى بالزوراء ، وكانت أرفع دار بالمدينة ، بقرب المسجد . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الاحرار دون النساء والعبيد والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض ، وقِيم المريض ، وما أشبه ذلك من الاعذار ، كما هو مقرر فى كتب الفروع . وقوله : ﴿ وَذَرُوا البَيْعَ ﴾ أى : اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة : ولهذا اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثانى . واختلفوا : هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين ، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه ، والله اعلم . وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم ، أى : فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون .

وقوله : ﴿ فَإِذَا قُضِيَ الصَّلَاةُ ﴾ أى : فرغ منها ، ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ : لَمَّا حَجَرَ عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع ، أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله . كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، فقال : اللهم ، أجبْتُ دعوتَكَ ، وصليتُ فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقتني من فضلك ، وأنت خير الرازقين .

(١) المسند (٤/١٠٤) والترمذى (٤٩) وابن ماجه (١٠٨٧) .

(٢) البخارى (٨٨١) ومسلم (١٠/٨٥٠) .

(٣) المسند (٥/٤٢٠) .

(٤) ابن ماجه (١٠٩٦) وفى الزوائد للبوصرى : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » .

(٥) البخارى (٩١٢) .

وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى يوم الجمعة بعد الصلاة ، بارك الله له سبعين مرة ، لقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ . وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أى : فى حال بيعكم وشرايتكم ، وأخذكم وعطآنكم ، اذكروا الله ذكرا كثيرا ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا ، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْبَيْعِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ أى : على المنبر تخطب . هكذا ذكره غير واحد من التابعين ، منهم : أبو العالية ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وقتادة . وزعم مقاتل بن حيان : أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل ، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائما على المنبر إلا القليل منهم . وقد صحَّ بذلك الخبر ، فروى الإمام أحمد عن جابر قال : قَدِمَتْ عَيْرُ الْمَدِينَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَتَزَلَّتْ : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ . أخرجاه فى الصحيحين (١) . وروى الحافظ أبو يعلى : عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبى ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عير إلى المدينة ، فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد ، لسال بكم الوادى نارا » ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ ، وقال : كان فى الاثنى عشر الذين تَبَّوْا مع رسول الله ﷺ : أبو بكر ، وعمر ، رضى الله عنهما (٢) .

وفى قوله : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس (٣) . وقوله : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أى : الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة ﴿ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْبَيْعِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أى : لمن توكل عليه ، وطلب الرزق فى وقته .

(١) المسند (٣١٣/٣) والبخارى (٤٨٩٩) ومسلم (٣٦/٨٦٣) .

(٢) أبو يعلى فى مسنده (١٨٨٨) ، والحديث رواه مسلم (٣٦/٨٦٣) .

(٣) مسلم (٣٤/٨٦٢) .